

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

الفكر اللغوي عند ابن رشد

Linguistic thought according to Ibn Rushd

محمود شوش¹ (Mahmoud Şuş) شهرزاد حمدي² Chahrazad Hamdi

¹ دكتوراه، جامعة ماردين أرتكلو، تركيا، كلية الآداب، قسم اللغة العربية

PhD, Mardin Artuklu University, Turkey, Faculty of Arts, Department of Arabic Language
mahmudsus@artuklu.edu.tr

² دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، مخبر

المجتمع الجزائري المعاصر

PhD, Mohamed Lamine Debaghine Setif 2 University, Algeria, Faculty of Humanities and
Social Sciences, Department of Philosophy, Laboratory of Contemporary Algerian Society
ch.hamdi@univ-setif2.dz

المؤلف المُرسل: شهرزاد حمدي Chahrazad Hamdi الإيميل: *ch.hamdi@univ-setif2.dz*

تاريخ القبول: 2026/01/15

تاريخ الاستلام: 2025/09/27

المُلخَص :

للغة دور أساس في عملية اكتساب المعارف وتحقق الفهم، فهي ليست أداة للتواصل فقط بل يتعدى مستوى فاعليتها إلى حيث الاكتشاف والتعلم والإدراك والقبض على المعاني الحقة. ولقد حظيت اللغة والأبحاث اللغوية باهتمام الفلسفة على مدار تاريخها وفي مختلف عوالم الفكر، من بينها في العالم العربي الإسلامي. ولعل من أبرز الفلاسفة نجد "ابن رشد" الذي كانت له اجتهادات قيمة في العديد من الحقول الفكرية من بينها الحقل اللغوي. تهدف ورقتنا البحثية إلى شرح وتحليل ما قدمه "ابن رشد" من أفكار ومواقف شكلت فكراً لغوياً، وتبين العلاقة القائمة بين العقل واللغة والعقل والدين، ومواطن الاتفاق والاختلاف بين الفكر اللغوي الرُشدي والفكر اللغوي الحديث. الكلمات المفتاحية: الفلسفة، الدين، "ابن رشد"، الفكر اللغوي، اللسانيات الحديثة.

Abstract:

Language plays a fundamental role in the process of acquiring knowledge and achieving understanding. It is not merely a tool for communication, but its effectiveness extends beyond that to include discovery, learning, perception, and grasping true meanings. Language and linguistic research have received significant attention from philosophy throughout its history and across various intellectual realms, including the Arab-Islamic world. Perhaps one of the most prominent philosophers is Ibn Rushd, who made valuable contributions to numerous intellectual fields, including linguistics. Our research paper aims to explain and analyze the ideas and positions presented by Ibn Rushd, which shaped linguistic thought. It also highlights the relationship between reason and language, reason and religion, and the points of agreement and disagreement between Rushdi linguistic thought and modern linguistic thought.

Keywords: Philosophy, Religion, Ibn Rushd, Linguistic thought, Modern linguistics.

مُقَدِّمة:

"دوسوسير" والنظرية التوليدية "لتشومسكي"، والتي تفتح المجال للحوار الخصب بين الفكر اللساني المعاصر والتراث الإسلامي.

وعليه: ما مضمون التصور اللغوي الذي صاغه "ابن رشد" للتأليف بين اللغة والعقل؟ وكيف عمل على الموافقة بين المعقول والمنقول؟ وفيما تتمثل أوجه الاتفاق والاختلاف بينه وبين اللسانيات الحديثة "دوسوسير" و"تشومسكي"؟

المحور الأول: التأويل الفلسفي للنصوص

أولاً- معنى التأويل:

يُفيد التأويل عند "ابن رشد": "هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يُخل ذلك بعادة لسان العرب في التجويز، من تسمية الشيء بشبيهه أو [بسببه] أو لاجقه أو مُقارنه، أو غير ذلك من الأشياء

- يُمثل الفكر اللغوي عند "ابن رشد" Averroès (1126-1198م) مجالاً خصباً لإعداد دراسات في الأبحاث اللغوية اللسانية والفلسفية، فقد انصب غالب اهتمام الدارسين على أقواله في الفلسفة والمنطق والفقه والطب، بينما بقيت نظرته إلى اللغة في هامش الاهتمام، مع أنها في طبيعتها تحمل تصوّراً عميقاً لما يساعد في إعادة النظر في العلاقة بين اللغة والعقل والدين، ويفتح المجال للدراسة اللسانية العقلانية التأويلية.

وتظهر أهمية هذا البحث في سعيه إلى سدّ فراغ معرفي في حقل الدراسات اللغوية الفلسفية، من خلال إبراز إسهام "ابن رشد" في بلورة تصوّر للغة يتجاوز كونها وسيلة تخاطب ليُجعل منها نسقاً ونظاماً فكرياً ومنطقياً كلياً، وهذا التصوّر يضيف على اللغة بُعداً فلسفياً يتخطى حدود البلاغة ويضعها في صميم النقاش حول المعنى والدلائل والتأويل، مع المُقارنة ببعض النظريات اللسانية الحديثة مثل: بنيوية

وقع فيها الخلاف بين هذه الطوائف. وقد كان لفلاسفة الإسلام حظاً وافراً من الإسهام الفكري في هذه المسألة، مُجتهدين في التوفيق بين النصوص الشرعية والقضايا العقلية.⁵ لتُكن بذلك قضية العقل والنقل أو النظر والسمع من القضايا التي أثّرت بقوة في تاريخ الفكر الإسلامي، ما جعل الفلاسفة المسلمين يسعون في التأليف بين الحكمة والشرعة.

لقد أوضح "ابن رشد" في البداية أن الشرع ظاهر وباطن، فالظاهر لعامة الناس الذين لا يملكون قدرات عقلية تُمكنهم من إدراك باطن النصّ وحقيقته، ولذلك ضرب لهم الشارع أمثالاً لتقريب المعاني إلى عقولهم من أجل إدراكها.⁶ إذن، للشرع ظاهر وباطن ما يستلزم ضرورة التأويل من أصحاب النظر، في حين ظاهره فهو لعامة الناس. والسبب في تضمين الشرع للظاهر والباطن هو اختلاف فطر الناس وتباين قرائحهم في التصديق. والسبب في احتوائه على ظواهر مُتعارضة هو تنبيه الراسخين في العلم على التأويل المؤلّف بينهما.⁷ لقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" (سورة آل عمران، الآية: 7).

"وإذا كانت هذه الشريعة حقاً وداعية إلى النظر المؤدّي إلى معرفة الحقّ، فإنّ معشر المسلمين، نعلم على القطع أنه لا يُؤدّي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع فإنّ الحقّ لا يُضاد الحقّ، بل يُوافقه ويشهد له".⁸ إنه إقرار صريح بتوافق المعقول والمنقول وأن الحكمة سليمة الشريعة، فالدين الإسلامي يدعو إلى التدبّر والتأمّل والتعقّل والنظر، وهي وصايا الحكمة أيضاً.

"وإذا كان الفقيه يفعل هذا في كثير من الأحكام الشرعية، فكم بالحري أن يفعل ذلك صاحب علم البرهان [أ] فإنّ الفقيه إنّما عنده قياس ظنيّ، والعارف عنده قياس يقيني. ونحن نقطع قطعاً أن كلّ ما أدّى إليه البرهان وخالفه ظاهر

التي [عُدّت] في تعريف أصناف الكلام المجازي".¹ يُشير هذا التعريف على أن منهجية التأويل لديه تتعيّن في الحصول على البرهان بإدراك الحقائق اليقينية بواسطة القياس العلمي، ومعرفة قوانين اللغة العربيّة وشدّ النظر في علم الصرف والنحو والبيان والإعراب والبلاغة، والاعتدال من جميع الجوانب الفلولوجية التي بإمكانها تسريع النظر في كيفية القبض على المعنى وإسناد الأسماء للأشياء.²

ثانياً- وجوب التأويل:

إنّ السبب في وجوب التأويل لأهل النظر أكثر منه لأهل الفقهاء، صادر عن الفرق بين نمطيّ القياس عند كلّ فريق، فإذا كان من الجواز للفقيه الذي يستخدم القياس الظنيّ أن يُؤوّل، فكَم بالاستحقاق أن يفعل ذلك صاحب البرهان ولديّه قياس يقينيّ؟ وإنّ لَمِن دليل التأويل وحدة الحقيقة مع اختلاف السبيل المؤدّية إليها، وتفاوت النسب بين المقادير التي يعيها منها الناس، لأنّ هذا السبيل الوحيد لأجل رفع التعارض الذي يظهر أحياناً بين ظواهر بعض النصوص وبين مُعطيات البرهان.³ إنّ التأويل واجب لأهل التعقّل والنظر، لأنهم يملكون قياساً يقينياً يستحقون من خلاله أن يُؤوّلوا، أكثر من أهل الفقهاء أصحاب القياس الظنيّ. والحقيقة واحدة بيد أن المناهج تتعدّد والناس مراتب. ولذلك قال "ابن رشد": "إنه ما من منطوق به في الشرع، مُخالف بظاهره لما أدّى إليه البرهان، [إلا] إذا اعتُبر وتُصَفّحت سائر أجزائه، وُجد في ألفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل، أو يُقارب أن يشهد (...)".⁴ هذا تأكيد على التأويل وتنبيه إلى اعتماده من أصحاب البرهان.

ثالثاً- الحكمة والشرعة أو التوافق بين المعقول والمنقول:

تُعتبر مسألة تأويل النصّ الديني وتوظيفه لخدمة القضايا الفلسفية، والمسائل الكلامية من القضايا التي أثّرت سجّالاً واسعاً وشائناً في الفكر الإسلامي، فلقد افتقرت الأمة الإسلامية إلى طوائف وأحزاب وذلك لنصوص شرعية مُتشابهة

أحد سليم العقل يعرَى من هذا النوع من التصديق. وصنف هو من أهل التأويل الجدلي، وهؤلاء هم الجدليون بالطبع فقط، أو بالطبع والعادة¹⁰.

كما يرى أن اللغة والعقل ليسا حقلين منفصلين، بل مترابطان بنيويًا. فاللغة، من وجهة نظره، هي مظهر من مظاهر الفعل العقلي، وهي الوعاء الذي يصوغ فيه الإنسان مفاهيمه ويُعبر عن مدركاته. في "تهافت التهافت" و"فصل المقال"، يبرز "ابن رشد" أهمية اللغة بوصفها أداة لتجريد المفاهيم والتعبير عن الكليات العقلية.

فيقول "ابن رشد": "وإذا كان هذا هكذا فقد يجب علينا إن ألفينا لمن تقدمنا من الأمم السالفة نظرًا في الموجودات واعتبارًا لها، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم، وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نهينا عليه وحذرنا منه وعذرناهم"¹¹.

فهنا يؤكد "ابن رشد" مظاهر الفعل العقلي وضرورة الانفتاح على الإنسانية بتراتها وثقافتها العامة والتعامل معها بروح نقدية بناءة، فالمعيار عنده ليس أي انتماء حضاري أو عرقي أو ديني بل مطابقة القول لشروط البرهان العقلي وهو المنهج الذي يوافق الحق ويكشف خلل من يخالفه، فلا يوجد مجال للإقصاء والتعصب بل الحوار والانتفاع والدعوة للتجدد والتعامل مع كل المعارف المعاصرة بروح فاحصة وعقل منفتح ونقد موضوعي.

فكما يقول أيضا: "الفلسفة ليس شيئا أكثر من النظر في الموجودات، واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات، فإن الموجودات إنما تدل على الصانع لمعرفة صنعها. وأنه كلما كانت المعرفة بصنعها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم، وكأن الشرع قد ندب إلى اتبار الموجودات"¹².

فجوهر المشروع الفلسفي عند ابن رشد النظر العقلي في الموجودات من حيث دلالتها على الواجد الصانع، وليس التأمل في حد ذاته هو الغاية، بل وسيلة تدل على قدرة الصانع، فكلما ازدادت القدرة على فهم الصنعة اللغوية وقواعدها أو

الشرع أن ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي"⁹. في تقديم للتأويل الباطني على ظاهر الشرع إن جاء مُخالفاً للبرهان.

المحور الثاني: المفاهيم اللغوية في فكر ابن رشد:

يتناول هذا الفصل الأسس المفاهيمية التي يتعامل بها "ابن رشد" مع اللغة، من حيث علاقتها بالعقل والدين والدلالة.

* في اللغة والعقل، تم تحليل كيفية إدراك "ابن رشد" للغة بوصفها مظهرًا من مظاهر الفعل العقلي؛ إذ يرى أن كل تعبير لغوي هو انعكاس لبنية منطقية ذهنية، وأن النحو هو "منطق العامة"، كما أن البرهان الفلسفي هو لغة الخاصة.

* أما في اللغة والدين، فقد تم التركيز على تأويل النصوص الدينية تأويلاً عقلانياً مضبوطاً. وقد أكد "ابن رشد" على أن ظواهر النصوص يُفهم بالجمهور، لكن تأويلها لا يتم إلا من قبل أهل البرهان، مؤكداً بذلك تكاملية العقل والدين ضمن جهاز لغوي منضبط.

* وفي الدلالة والمعنى، ناقش الفصل مفهوم الدلالة لدى "ابن رشد" بوصفها نظامًا من العلاقات السياقية المحكومة بمنطق العقل، مما يجعله قريبًا من نظرية السياق في اللسانيات التداولية.

أولاً- اللغة والعقل عند ابن رشد:

يتجلى الفكر اللغوي عند "ابن رشد" بوصفه تجلياً لفلسفة موسوعية تجمع بين مقاربات عقلية صارمة وأسس شرعية نصية؛ حيث لم يكن ينظر إلى اللغة نظرة أداة للتواصل فحسب، بل بوصفها ميداناً تأويلياً عميقاً تتقاطع فيه أنساق العقل والدين والدلالة. لقد أسهم "ابن رشد" في تشكيل بنية مفاهيمية لغوية قائمة على الترابط بين العقل واللغة، وتوازن بين النصوص الدينية والمنطق اللغوي، وانشغال بالمعنى والدلالة بوصفهما جوهر الفهم والتأويل.

فتحت باب (لا يجوز أن يكتب للعامة ما لا يدركونه) في كتاب فصل المقال "لابن رشد" يقول: "من أباح التأويل للجمهور فقد أفسده، فإذا الناس في الشريعة على ثلاثة أصناف: صنف، ليس هو من أهل التأويل أصلاً، وهم الخطابيون الذين هم الجمهور الغالب. وذلك أنه ليس يوجد

يقول "ابن رشد" بأن العقل البشري هو "منبع المعرفة" و"مؤسسها". فهو لا يتقبل أن يكون العقل مجرد أداة للخروج بتفسيرات ظنية أو نقليات. من هذا المنطلق:

- القسم بين العقل العملي والعقل النظري، واعتباره أنهما وحدة واحدة في جوهر منهجي منطقي واحد، فيما عدا "ترتيب الأسبقية والشرف" (Mominoun Without Borders)
- انفصاله الوجودي عن المصدر الإلهي المباشر كالفيض، كما عند "الفارابي" و"ابن سينا"، واعتماده على استقلالية العقل في إنتاج المفاهيم وبناء المعارف باستخدام اللغة كنظام رمزي طبيعي يعبر ويتطور في سياق التجريد العقلي. وهذا يشير إلى أن اللغة عنده ليست أداة ثانوية للعقل، بل هي مرآة تنعكس فيها بنية الفكر، وهي "المنطوق" المظهر اللغوي للتصورات المجردة.

2. اللغة كتنظيم ذهني – اللغة والعقل بنية واحدة:

- يبني "ابن رشد" رؤية "لسانية . عقلية" يزرع فيها الفكرة التقليدية عن عدمية العلاقة بين النحو والمنطق:
- في فصل المقال، يجزم بأن النحو يمثل "منطق العامة"، أي أنه يوفر الأساس البنيوي للتفكير عند العامة، كما أن المنطق الفلسفي يعمل أداة للعقل المدقق عند الخاصة.
 - ينتج عن هذا أن المعرفة اللغوية (النحوية والمعنوية) هي صورة من صور المعرفة العقلية، وتحتوي إمكانات برهانية إذا ما تم تنظيمها وتطبيقها ضمن منهجية عقلية صارمة.

3. اللغة كوسيلة لتجريد الذهن:

إن أهم عناصر هذه العلاقة هو التجريد:

- تعتبر اللغة عند "ابن رشد" وسيطاً للتجريد العقلي إلى كليات (Universals)، بحيث تنتقل من "الظاهرة" إلى "الماهيات" المجردة.
- يرى أن الفكر لا يمكن أن يهضم العالم المفاهيمي بدون أدوات لغوية: فلا أفعال عقلية بدون كلمات، ولا عائد لغوي بدون تنظيم ذهني. فهما في ارتكاز متبادل.
- 4. اللغة والبرهان: تأويل نصي عقلي: وجه نظر آخر يتعلق بمتانة العلاقة:
- يرى أن تأويل النصوص الدينية والفلسفية لا يمكن أن يكون إلا معالجة برهانية للغة، وليس تلاعباً ظاهراً باللفظ.

غيرها ازدادت المعرفة بالصانع الخالق وحكمته، فالتفكير العقلي هو السبيل والوسيلة للوصول إلى حقيقة الإيمان.

فيرى ابن رشد: "أن المعرفة تبدأ بالحس والتجربة؛ أي أن الإدراك الحسي هو أولى خطوات التلقي المعرفي، لكنه لا يكتفي بذلك، بل يرى أن الحواس تزود العقل بالمعطيات الأولية، التي يعالجها ليصوغ منها مفاهيم كلية. ومن هنا يتأسس البعد العقلي في نظرية المعرفة لديه؛ حيث يحتل العقل مكانة مركزية بوصفه جوهر الإدراك، وغايته بلوغ الحقيقة عبر التأمل المنطقي والاستدلال البرهاني. وهذا يُميز "ابن رشد" عن بعض المتكلمين الذين عوّلو على النقل والتسليم أكثر ممّا عوّلو على البرهان"¹³.

فالتلقي بمهاراته المختلفة وحواسه الإدراكية المتنوعة عند ابن رشد هو الخطوة الأساسية للإدراك الذي يبني عليه نظرية المعرفة والبعد العقلي من ورائها. ولم يكن هدف "ابن رشد" فقط تجميع المعارف بدون ضوابط أو قواعد منهجية ف"على الرغم من تنوع مؤلفات "ابن رشد" بين الفقه والفلسفة وعلم النفس والمنطق والطب والفلك إلا أن كل هذه المؤلفات الضخمة تخضع لضرب من الوحدة المنهجية، لم يكن غرض "ابن رشد" تجميع المعرفة بدون ضوابط، بل الهدف من البداية تحصيل الأمور الكلية، حاذقاً الآراء التي تعد غير ضرورية في حصول الكمال الإنساني مميزاً بين القوانين التي تعتبر ضرورية في الكمال، مثل القوانين التي تستعمل في صناعة البرهان والقوانين غير الضرورية مثل المقاييس الخطابية والشعرية"¹⁴.

فتحصيل الأمور الكلية والضرورية عند ابن رشد هي الهدف الرئيس للوصول إلى معرفة تقوم على البرهان.

كما يتضح من نصوصه أن اللغة عنده ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي نظام رمزي قادر على استيعاب البناء المنطقي للعقل، مما يفتح الباب أمام التفسير العقلاني للنصوص. في هذا السياق، تظهر اللغة كأداة للعقل في تحصيل المعرفة وتأويل النصوص، وليس كقيد عليها. ولذلك، لم يكن "ابن رشد" يرى تناقضاً بين البيان اللغوي والبرهان العقلي، بل كان يؤمن بأن البيان يُمهّد للبرهان، وأن التأويل اللغوي المدعوم بالمنطق هو السبيل إلى الفهم الصحيح.

1. المنطلق الفلسفي: العقل أساساً لأداة:

- * في تهافت التهافت وفصل المقال، يعرض أن كل تفسير يتجاوز البرهان العقلي وتنظيم اللغة يُعد اجتهدًا باطلاً أو ضارًا.
- * لقد قبل التأويل لكن وفق شروط: أن يكون المؤول عالمًا وعالمًا باللغة والمنطق والشرع، ولا يكون في إطار الجمهور أو للخطابة الخالية من الضبط العقلي.
- 5. الإمام العقلاني: لغة عقلانية للثقة: من دلائل عقلانية "ابن رشد":
 - من العلامات ودلائل عقلانية "ابن رشد" التي احتج بها الباحثون المحدثون عن عقلانيته التنويرية:
 - * ومن الدلائل التي قدمت على حادثة "ابن رشد" دفاعه عن ضرورة التمدد والاختلاف في طرق فهم المتشابه من نصوص الشريعة بالقياس إلى اختلاف عقول الناس.
 - * قوله بوحدة العقل التي تم تفسيرها بأحد دعائم الحداثة، وهي تساوى الناس في حظهم منه، والحال أن القول بوحدة العقل يقود إلى فصله عن الأفراد، مما يحرمهم من ملكية عقلم الخاص.
 - * اعتبر "ابن رشد" الاتصال بالعقل الفعال غاية للوجود البشري، من جهة أخرى حتى إن سلمنا بأن الإنسان الفرد يملك عقلا خاصا به هو العقل النظري فإن "ابن رشد" لم يعممه على سائر الناس، بل حصره في الخاصة منهم دون الجمهور، اعتقادًا منه بأن مداركهم لا تتجاوز عتبة الخيال والعقل العملي، وطرائقهم لا تتجاوز مستوى طريقة التمثيل والتشبيه، وهذا ما يجعلهم أبعد الناس عن الشعور بالاختلاف والتعارض في الأمور النظرية، ولذلك أوجب عليهم أن يقرروا الشرع على ظاهره، وألا يصح لهم بتأويلات المتحكمين والفلاسفة في القضايا المتشابهة، كالجمع بين الشرع والحكمة¹⁵.
 - "وينبه "ابن رشد" إلى أن من جعل شرعًا واحدًا في التعليم فهو كمن جعلهم شرعًا واحدًا في عمل من الأعمال، وهذا كله خلاف المحسوس والمعقول¹⁶.
 - ويمكن تلخيص هذا النسق عبر نقاط متعددة:
 - * التأكيد على أن العقل واللغة مترابطان بنيوية.
 - * اللغة مظهر للعقل: كل بنية لغوية تنطوي على بنية فكرية.
- * التأويل الشرعي الفلسفي لا يقبل الظواهر إلا بدليل عقلي، وهذا يعزز مكانة اللغة كوسيط إنساني معرفي، لا كوسيلة تجمل.
- * لغة العقل ليست لمنفعة تداول فقط، بل أيضًا لجعله رقيقًا على النص التقليدي، وتوجيهه لغايات عقلانية ومعرفية.
- ثانيًا- اللغة والدين: نحو تأويل شرعي عقلاني عند ابن رشد:
 1. الإشكالية الأساسية: العلاقة بين النص الديني والعقل:
 - ينطلق "ابن رشد" من إشكالية جوهرية تمس العلاقة بين العقل والنص الشرعي، وهل يمكن أن ينشأ تعارض بين ظاهر النصوص والدلائل العقلية القاطعة. ويحدد هذه الإشكالية باعتبارها قاعدة لأي تأويل شرعي:
 - "هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح بالشرع، أم محظور، أم مأمور به، إما على جهة الندب، وإما على جهة الوجوب؟
 - والإجابة العقلانية التي يتبناها "ابن رشد" تنطلق من البرهان العقلي الذي يجعل التفكير في الموجودات وسيلة للتعرف على الصانع، استنادًا إلى دلائل شرعية صريحة مثل:
 - * ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (سورة الحشر، الآية 2).
 - * ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة الأعراف، الآية 185).
 - فالعقل هنا ليس مجرد أداة قبول، بل وسيلة استنباط دالة ومُحددة بالشرع ذاته. ولهؤلاء العقلين يُقدّم تأويل النصوص بما يخدم مقاصد الشريعة دون الإخلال بها.
 2. الدلالة والمعنى عند ابن رشد: من البيان إلى التأويل:
 - 1.2. مفهوم الدلالة عند ابن رشد:
 - في تفسير "ابن رشد" للتأويل وضع المقصود من الدلالة وأقسامها في كتابه (فصل المقال) وقد سبق إيضاح معنى التأويل عنده:
 - يبدأ بالدلالة كعملية لغوية منضبطة تتطلب شروطًا عقلية ولغوية:
 - الدلالة الحقيقية (ظاهرة): هي تلك التي تحملها اللغة بالنظر إلى عرف وبديهة، بلا تأويل.

وهذا ما يدفع إلى التساؤل: هل يمكن الحديث عن لسانيات
رشدية؟ أيّ نحو نظرية لسانية عقلية أصيلة، قائمة على تأويل
النص، وتنظيم المعنى، والارتباط بين الدلالة والفكر؟

1. مقارنة بين مفاهيم ابن رشد وبعض مفاهيم اللسانيات
الحديثة:

* ابن رشد وفرديناند دو سوسير (F. de Saussure)

المفهوم	ابن رشد	دوسوسير
العلاقة بين اللفظ والمعنى	علاقة غير اعتباطية، تنشأ من العقل والسياق	علاقة اعتباطية بين الدال والمدلول
مركزية السياق	أساسية في تحديد المعنى والتأويل	مهمشة نسبياً في التحليل البنيوي
وظيفة اللغة	أداة للعقل، ومظهر للفكر	نسق اجتماعي مستقل عن الفكر الفردى

تحليل:

* يرى "دوسوسير" أن اللغة نظام من العلامات؛ حيث العلاقة
بين الدال والمدلول هي اعتباطية بالكامل: لا رابط ضروري بين
الصوت والمعنى، وإنما عرفي واجتماعي.

في المقابل، يرى "ابن رشد" أن العلاقة ليست اعتباطية كلية،
بل إنها خاضعة لسياق العقل، والمنطق، والنحو العربي.
العلاقة بين اللغة والمعنى محكومة بعقلانية ذاتية: فاللغة تمثل
بنية ذهنية عقلية، والدلالة لا تتحقق إلا ضمن ضوابط لغوية
وفكرية.

* السياق: محور اللغة والمعنى. تجاهل "دوسوسير" للأبعاد
الدلالية السياقية يدخل اللغة في نسق صارم يعتمد على
العلاقات الداخلية بين العناصر.

بينما جعل "ابن رشد" السياق وعلاقته بالعقل شرطاً أساسياً
في تحقيق الدلالة: لا تأويل إلا انطلاقاً من سياق منطقي يحقق
التوافق العقلي مع مقاصد النص.

* الوظيفة المعرفية للغة: ركّز "دوسوسير" على اللغة كظاهرة
اجتماعية وبنيوية، دون الاهتمام بالأفعال المعرفية الفردية.
على العكس، يرى "ابن رشد" في اللغة مرآة للعقل ومُحرّكاً له،
وهي تنشيط التفكير لا مجرد تسجيله. فـ "النحو منطق
العامة"، و"المنطق هو حاجة الفكر المرتبط باللسان".

الخلاصة: يربط "ابن رشد" الإشارة اللغوية بالسياق
والعقلانية، في حين أن يحصرها "دوسوسير" في النظام

-الدلالة الاعتبارية أو التأويلية: يظهر أثر العقل والتفكير فيها
حين تخالف الظاهر أو تعترض عليه، وتتطلب إرجاءً للعامة إلى
ما أعماهم فهمه.

يستقي هذه البيئة الدلالية من التراث الفلسفي
الإسلامي، خاصة من الفارابي وابن سينا، اللذين تطرقا إلى
المفاهيم المجردة (الكليات)، وطرحوا الحاجة لوسائل لغوية
لمعالجتها وتداولها. ابن رشد يعبر عن هذا الإرث لكنه يطوره
بمنهج متكامل يربط بين الدلالة، السياق، والسياق العقلي
المنطقي.

في كتاب "الكشف عن مناهج الأدلة"، يُظهر بوضوح كيف
تُستخدم الدلالة كوسيلة لفهم المقاصد الشرعية بعيداً عن
التأويل العشوائي أو التعسفي في المعاني.

2.2. مستويات الدلالة: واضح، مجازي، تأويلي:

يبني "ابن رشد" تقسيمه إلى مستويات معرفية:

* الدلالة الظاهرية: قيمة مباشرة يحققها النص دون
استحضار أي العقل أو الاجتهاد. يتمسك بها الجمهور.

* الدلالة المجازية: تستدعي توافق مسلم صريح أو عرف لغوي
لاستنباط مدلول جديد.

* الدلالة التأويلية: تخضع للبرهان المنطقي عند أولي الأمر، وهي
مرتبطة بحركة العقل، وليس مجرد استعمال لفظي.

هذا الإطار يساهم في فهم نصوص الشرع والفلسفة بطريقة
مرنة محكومة ضابط العقل.

المحور الثالث: نحو لسانيات رشدية؟

يتناول هذا المبحث إمكانية قراءة فكر "ابن رشد"
قراءة لسانية حديثة، بالاستناد إلى مفاهيمه الدلالية،
والعقلية، والتأويلية، ومقارنتها ببعض النظريات اللسانية
الغربية المعاصرة، مع تحليل نقدي لطريقة تعامله مع
الاستعمال المجازي والمنطقي للغة.

أولاً- إمكانية بناء لسانيات عقلانية في ضوء الفكر الرشدي:

يتجلى في فكر "ابن رشد" ملامح نسق لساني
متكامل، وإن لم يُنشئ نظرية لسانية مستقلة بالمعنى
الاصطلاحي الحديث. فقد جاءت أطروحته حول اللغة
محكومة بنظام عقلي فلسفي، يستند إلى أدوات المنطق
والبرهان، ويجعل من اللغة مظهرًا من مظاهر العقل، وليس
مجرد نسق تواصلي.

البنوي والاجتماعي. وهذا يضع النهج الرشدي أقرب إلى اللسانيات التداولية واللسانيات المعرفية المعاصرة.

* ابن رشد وتشومسكي (Noam Chomsky)

المفهوم	ابن رشد	تشومسكي
اللغة والعقل	اللغة تجلّ للعقل	اللغة قدرة فطرية عقلية
النحو والمنطق	النحو هو "منطق العامة"، والمنطق هو تنظيم الفكر الفلسفي	النحو هو نظام عقلي داخلي يولّد اللغة
التأويل	عملية عقلية منظمة تخضع للبرهان	التوليد اللغوي عملية داخلية لا شعورية

تحليل:

* اللغة كقدرة عقلية فطرية: يرى "تشومسكي" أن اللغة ليست مجرد اكتساب اجتماعي، بل قدرة نفسية بيولوجية عضوية (Language faculty): بمعنى أن البشر يولدون مزوّدين بقواعد نحوية داخلية مشتركة (Universal Grammar).

- لم يصل "ابن رشد" لهذه الدقة البيولوجية، لكنه يرى أن اللغة تظهر نتيجة قدرة عقلية داخلية تجعل الإنسان قادراً على التجريد والبرهان اللغوي — وهي قدرة لا تتوقف على التقليد أو التلقين.

* النحو والعقل: نظام داخلي لتوليد الجمل: تحدث "تشومسكي" عن "النحو الكلي" كجهاز داخلي يولّد جميع الجمل الممكنة إبداعياً.

- امتدح "ابن رشد" النحو باعتباره نظاماً فكرياً يعبر عن بنية عقله: "النحو منطق العامة"، و"المنطق منطق الخاصة"، بما يشبه فكرة قواعد اللغة الأنية Universal Grammar.

* الدور العقلي في تجاوز اللغة الآلية: نقد "تشومسكي" التراث الذي يرى أن اللغة مجرد سلوك — بل هي تعبير عن قدرة عقلية خالدة.

- بالمثل، رفض "ابن رشد" فكرة أن اللغة للتقليد فقط، مؤكداً أنها وسيلة للتأويل والفهم المنطقي: "لغة الإنسان ليست مجرد تكرار ولا تقليد.

الخلاصة: على رغم اختلاف الإطارين (فلسفي عقلي مقابل بيولوجي نفسي)، هناك تطابق منهجي في أن كلا منهما يرى اللغة إنتاجاً عقلياً داخلياً، وتجاوزاً للتقليد والشرطية التقليدية، ورغم التباعد الزمني والمنهجي، هناك تقاطع لافت بين تصور "ابن رشد" للغة كأداة عقلية، ونظرية "تشومسكي" في "النحو الكلي" (Universal Grammar)، فكلاهما يؤكدان على وجود بنية ذهنية تُمكن الإنسان من تنظيم اللغة وإنتاج المعنى.

2. نقد ابن رشد للاستعمال المجازي والمنطقي للغة:

يقف "ابن رشد" عند حدود دقيقة في استخدام اللغة، لا يسمح لها سوى أن تعمل بأدوات عقلية وضوابط وضعت منطقياً ولغوياً. ويندرج نقده ضمن سياقات فلسفية وفكرية مهمة:

"لقد توسّع "ابن رشد" في تحديد مفهوم المجاز وضروريته المختلفة أكثر من "ابن سينا". حيث بين "ابن رشد" أولاً أنه يعني بالمجاز الاستعارة والتشبيه. يقول: "إن المجاز استعارة وتشبيه (٢٨). كما ذكر ضرورياً أخرى من المجاز حاصراً إياها بالتغيير وهو الخروج على المألوف في التركيب والصياغة الأدبية. يقول: "والتغييرات تكون بالموازنة والموافقة والإبدال والتشبيه، وبالجمل: بإخراج القول غير مخرج العادة، مثل: القلب والحذف والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير وتغيير القول من الإيجاب إلى السلب ومن السلب إلى الإيجاب، وبالجمل: من المقابل إلى المقابل، وبالجمل: بجميع الأنواع التي تسمى عندنا مجازاً"¹⁷.

فالأساس الذي يقوم عليه مفهوم المجاز عند "ابن رشد" هو التغيير، وهذا التغيير يرتبط بالقول الشعري. فالتغيير هو المجاز، وهو الذي يجعل من القول قولاً شعرياً، ومن العمل الإبداعي عملاً إبداعياً، لأنه يعتمد على تجاوز المألوف من خلال استخدام الصور المبنية على الاستعارة والكناية والتشبيه، فضلاً عن "ابن رشد" قد أضاف بعداً جديداً في نظريته وتحديد مفهوم المجاز من خلال تركيزه على أساليب المعاني مثل: التقديم والتأخير والزيادة والإيجاز والحذف. ولعلّ هذه الأساليب هي التي تميز العمل الإبداعي عن غيره من صور الكلام أو الكتابة العادية.

كما أضاف "ابن رشد" ضرورياً أخرى إلى المجاز والتغيير مثل الأسماء الغريبة والرمز واللغز، ولعل الغرابة هنا

والاجتهاد في بحثها وشرحها ومناقشتها بالتحليل والنقد ومقاربتها مع البعض من الفلاسفة المعاصرين الذين لهم إسهام في فلسفة اللغة. وكذا في مَنْحَى التأسيس لوثيقة العلاقة بين الحكمة والشرعية ودرء كل الدعوات المُضِلَّة بانفصالية المعقول والمنقول. واليوم في العالم العربي نحن بحاجة إلى هذه الطُروحات العقلانية من دون تمجيدها أو الانتصار لها انتصارًا تفاضليًا مُقْصِيًا بقية الجوانب.

الهوامش:

- (1) أبو الوليد بن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال، قَدَمَ له وعلّق عليه ألبير نصري نادر، ط2، دار المشرق، بيروت، 1986م، ص 35.
- (2) سامي محمود إبراهيم، منهجية التأويل عند ابن رشد واختلافها عن المناهج التأويلية الغربية المعاصرة، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، الجامعة الإسلامية في النجف الأشرف، العراق، 2012م، ع 16، م 01، ص 228.
- (3) أبو الوليد بن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال، دراسة وتحقيق محمد عمارة، ط3، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص 9.
- (4) أبو الوليد بن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال، قَدَمَ له وعلّق عليه ألبير نصري نادر، مصدر سابق، ص 36.
- (5) أنور عبد الجليل جمعة، تأويل النص القرآني وتوظيفه فلسفيًا عند ابن سينا وابن رشد (أنماط ونماذج)، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، ع40، قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية، شبين الكوم، جامعة الأزهر الشريف، مصر، ص 1955.
- (6) المرجع نفسه، ص 2005.
- (7) أبو الوليد بن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال، قَدَمَ له وعلّق عليه ألبير نصري نادر، مصدر سابق، ص 36.
- (8) المصدر نفسه، ص 35.
- (9) المصدر نفسه، ص 35 – 36.
- (10) أبو الوليد بن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال، تحقيق محمد عمارة، مصدر سابق، ص 58.
- (11) إيمان فتحي أحمد، عقلانية ابن رشد (ت: 595هـ)، مجلة البحث العلمي في الآداب، (سبتمبر 2015)، ع16، م16، ص4.

تعني الدلالات المتولدة والجديدة التي تنتج عن الصياغة والتركيب الذي يخرج فيه المبدع عن المؤلف. يقول: "وأما الأقاويل العفيفة المديحية فهي الأقاويل التي تؤلف من الأسماء المبتدلة ومن الأسماء الأخر أعني المنقولة الغربية والمغيرة واللغوية، لأنه متى تعرى الشعر كله من الألفاظ الحقيقية المستولية كان رمزاً ولغزاً، ولذلك كانت الألغاز والرموز هي التي تؤلف من الأسماء الغربية أعني بالغربية: المنقول، والمستعار، والمشتك، واللغوي، والرمز- واللغز هو القول الذي يشتمل على معان لا يمكن أو يعسر، اتصال تلك المعاني الذي يشتمل عليها بعضها ببعض حتى يطابق بذلك أحد الموجودات"¹⁸.

1.2. المجاز: تقنين عقلائي، لا فوضوي شاعري

- يعتبر "ابن رشد" أن المجاز أداة بلاغية مشروعة، لكنه مشروط بضوابط صارمة:
- لا يُسَمَحُ به إلا ما دلت عليه العقل أو الدليل الشرعي أو عرف اللغة.
- يحاربه إن صار غايةً في نفسه وسبب لبساً في المعنى وغلبة للفكر الظاهري.
- لا يرى المجاز كلغة مجازية حرة، بل مثل أدوات شعرية/بلاغية مقيّدة.
- يرى "ابن رشد" أن مقابل اللغة المجازية أو البلاغية، يوجد لغة منطقية، هدفها تحصيل اليقين. وهذا يضعه في مسافة بعيدة عن بلاغة الخطابة:
- يربط الشعر بالمنطق من خلال خلق "وحدة ذهنية" – بداية وذروة ونهاية. وهذا يجعل استخدام اللغة، حتى في المكالمات الاستعارية، خاضعاً للمقصد والسببية.

خاتمة:

في نهاية هذه الورقة البحثية التي تركّزت على بيان جهود "ابن رشد" في الفلسفة والفكر اللغوي، نصّل إلى إدراك خاصيّة التركيب القريب من مفهوم التكامل التي تُؤكِّد عليها أفكاره وطُروحاته ومواقفه، سواء بين اللغة والعقل أو بين العقل والدين. فاللغة هي مظهر من مظاهر الفعل العقلي، والنصّ الديني يستوجب التأويل في إطار جهاز لغوي مُحكم. ونظراً لقلّة الدراسات المُتَجَرِّة حول "ابن رشد" في سياق اجتهاداته في الفكر اللغوي، ندعو من هذا المنبر إلى تكثيفها

- 12) ابن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق محمد عمار، مصدر سابق، ص22.
 - 13) حمدي سيد محمد محمود، نظرية المعرفة عند ابن رشد: العقل، التجربة، والتأويل الفلسفي، مقال بـ (الحوار المتمدن-العدد: 8304 – 2025).
 - 14) إيمان فتحي أحمد، عقلانية ابن رشد (ت: 595هـ)، مرجع سابق، ص3.
 - 15) المرجع نفسه، ص4.
 - 16) محمد المصباحي، الوجه الآخر لحداثة ابن رشد، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1998م، ص ص 30 - 32، ويُنظر المصدر السابق، ص4. (إيمان فتحي أحمد، عقلانية ابن رشد (ت: 595هـ)، مرجع سابق، ص4.
 - 17) مجموعة من المؤلفين، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، الجزء2، ديسمبر 2005م، م17، ع 25، ص74.
 - 18) المرجع نفسه، ص75.
- قائمة المراجع:**
- الكتب:**
1. أبو الوليد بن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، قدّم له وعلّق عليه ألبير نصري نادر، ط2، دار المشرق، بيروت، 1986م.
 2. أبو الوليد بن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق محمد عمار، ط3، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
 3. محمد المصباحي، الوجه الآخر لحداثة ابن رشد، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1998م.
 - الدوريات والمجلات:
 1. أنور عبد الجليل جمعة، تأويل النص القرآني وتوظيفه فلسفيًا عند ابن سينا وابن رشد (أنماط ونماذج)، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، ع40، قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية، شبين الكوم، جامعة الأزهر الشريف، مصر.
 2. إيمان فتحي أحمد، عقلانية ابن رشد (ت: 595هـ)، مجلة البحث العلمي في الآداب، (سبتمبر 2015).
 3. حمدي سيد محمد محمود، نظرية المعرفة عند ابن رشد: العقل، التجربة، والتأويل الفلسفي، مقال بـ (الحوار المتمدن-العدد: 8304 – 2025).
 4. سامي محمود إبراهيم، منهجية التأويل عند ابن رشد واختلافها عن المناهج التأويلية الغربية المعاصرة، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، الجامعة الإسلامية في النجف الأشرف، العراق، 2012م.
 5. مجموعة من المؤلفين، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، الجزء2، ديسمبر 2005م.